الأستاذ أحمد صالح باعطية

الفكر

دورية - فصلية - ثقافية

العدد (٢٩) | رمضان ١٤٢٧هـ / يوليو - سبتمبر ٢٠٠٦م | السعر (٥٠) ريالاً

مختارات

إننا نعلم علم اليقين بأن الله غني عن العالمين وعن عمل العاملين وعبادة العابدين وأن كل حكمة في التشريع الإسلامي إنما تهدف لمصلحة المكلفين فقط ، فهل يستطيع أحد بعد ذلك أن يجاهر بالإفطار في رمضان عصياناً لله وعناداً لأوامره وخروجاً على تعاليمه واستهانة بدينه وكفراً بالحكمة السامية التي تنطوي عليها هذه الفريضة الدينية وإهداراً للمصلحة التي أراد المشرع العظيم أن يكرم بها بني الإنسان ويرفعهم بها إلى مقام الصديقين .

سعيد عوض باوزير

قراءة في مخطوطة (رسالة في الطب) للعلامة بحرق

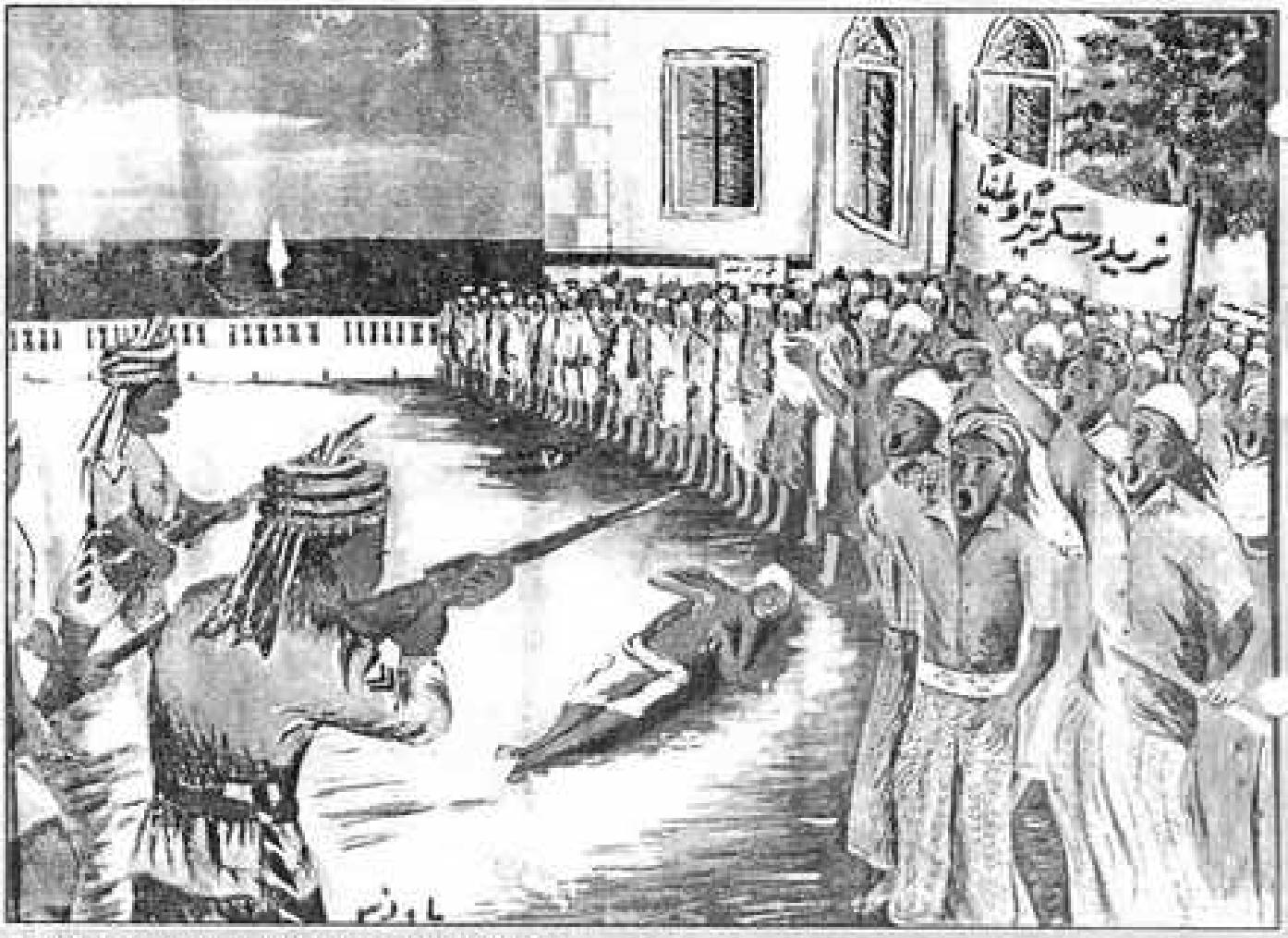

لوحة حادثة القصر للفنان الراحل سالم عوض باوزير

الأحداث التاريخية بحضرموت في منتصف القرن الخامس الهجري

الشيخ العلامة سالم سعيد بكير

مكتبة الأحقاف للمخطوطات .. النشأة والتطور

خواطر وحكايات رمضانية

تساؤلات

الصمت عن الإجابة

قراءة في مخطوطة (رسالة في الطب)

للعلامة محمد بن عمر بحرق ٨٦٩ - ٩٣٠ هـ

أ. أحمد صالح رابضة
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد - جامعة عدن

ترجمة العلامة محمد بن عمر بحرق ٨٦٩ - ٩٣٠هـ

اقترنت هذه الشخصية العصامية في اليمن وحضرموت خاصة، بتنوع أعماله وجهوده العلمية، والفكرية، والسياسية، ويعتقد أنه لم يدع جهداً في البحث والتنقيب، وفي التحليل والاستنباط إلا بذله في عموم الأولين، في القرن العاشر الهجري، ولعل مشكلات الأيام - إذا ما حلت أعماله العلمية تحليلاً منهجياً - تقفنا على جهود واتجاهات أخرى أعطتها، ومهد سبلها، فهو العالم، الشاعر، والناثر والأديب، والفقيه، والصوفي، والمفسر، والمحدث، والطبيب والرياضي، والقائد العسكري والإداري والسياسي الثائر، والساحر الذي يقن السحر، وليس هذا وغاص العلو لا يجب أن نورط فيه، فهو حقيقة نفسها فيما تركه الرجل من نتاج علمي متميز، بالإضافة إلى جهود أقرانه من العلماء والفقهاء، المجتهدين في القرن العاشر الهجري في حضرموت.

ولا ريب أننا لن نقف على هذه المواهب والقدرات والجهود كلها في هذه الدراسة، ولكنا إن شاء الله نتوخى في الصفحات القادمة والتوفيق في الوقوف على رسالته التي بين أيدينا، والتي تسمى تارة (رسالة في الطب) وتارة أخرى (رسالة في أصول الطب) وتارة ثالثة (أرجوزة في الطب وشرحها)، وقد عن لنا أن ننصرف إلى ترجمتها وتقديمها وعرضها وإن كنا لا نغمط بذلك أهميته كما ينبغي أن يكون.

لقد انتصر الباحثون في الغالب الأعم على ترجمتها كجزء من التراث الطبي العلمي في اليمن - حضرموت، وكنا نحسب أننا سوف نجد على مخطوطة ثالثة كالتي عثرنا عليها في مكتبة الأحقاف في تريم، ولم يخالجنا الشك في ذلك، فالرسالة التي وقفنا عليها، ليس لها نسخ ثالثة في المكتبات الخاصة الأخرى، على الأرجح، بحيث تساعد الباحث الفني على تحليلها تحليلاً منهجياً، ولم يكن بد من الاعتراف بأن تحقيق التراث الطبي الخطي يتطلب جهوداً مضاعفة تفوق الجهود المبذولة في تحقيق التراث الخطي بعامة، ناهيك عن التراث الطبي اليمني الذي يحتاج إلى مزيد من إعمال النظر، وتمعن الفكر، ولعل هذا وذاك يتطلب قدراً من التحقيق والتدقيق، فمعظم التراث الخطي في اليمن لم يخضع للتحقيق المنهجي المنشود.

حياة بحرق:

ولد العلامة محمد عمر بحرق في سيئون الشارقية الغربية في حضرموت في الخامس عشر من شعبان عام ٨٦٩هـ (١) وترعرع في بيئة علمية لها حظ غير قليل في تكوين الرجل، ولقد عرف عن أهالي حضرموت ميلهم إلى اقتناء المخطوطات حيث احتوت جوانب بيوتهم على العديد الوفير منها في شتى مناحي العلوم.. وانتشرت الزاويات الغربية في أنحاء شتى من هذه البلاد، واكتظت المساجد والقباب بروادها من الشباب الوافد إلى التدريس والتحصيل، ولا شك أن صاحبنا قد نال حظاً من ذلك في مبكر صباه، وهو الذي تلقى الرعاية الخاصة، والذكاء الحاد، والقسر بعد الوسادة، وهي القاعدة التي وقف عليها علم الرجل بعدئذ كجزء من علماء زمانه: فحفظ القرآن، ومعظم الحاوي، ومطولها الوحاوي والأصول، وكتبه النحو بكاملها (٢) وتتلمذ على عدد من فقهاء حضرموت، ومنهم الفقيه الصالح محمد بن أحمد باحرش الذي اشتهر في سلك السياسة وخاض غمارها، فلا مناص من أن يعتبر رجلاً من رجالاتها في عهد بن سومطور الذي تأثر بعلمه في عهده، وأدارت قوى الفقهاء مقاليد الشعر وبعض الأعمال المكتوبة في السلطنة، وفقهاء الطبقة العسكرية التي جمعها بسومطور على الثورة في رمضان عام ٩٥١هـ (٣)، كما عين والياً على سيحوت الساحل في حضرموت.

انتقاله إلى عدن

وكانت عدن وقتذاك محجاً وملاذاً للعلماء القادمين من رسوخ اليمن، والوافدين إليها من بلدان أخرى، رغبة للأخذ من علمائها وفقهائها، ورغبة للتجارة والتوطن فيها، أضف إلى ذلك الخصب في تدوين الأزمان كما يقول الزرقي (٤) وكانت تحكم في عدد الزمان من بني عسكر إلى ظافر (٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) وكان العلامة بحرق واحداً من هؤلاء الوافدين على عدن، حيث التقى على يد العلامة عبد الله بن أحمد باعرمة، والعلامة محمد بن أحمد بسالفضل في أصول الفقه والعربية، وأخذ عن حسين بن عبد الرحمن الأفضل (٥) وصحب السيد أبا بكر بن عبد الله العيدروس وحظي برعاية الدولة الظافرية التي أسست عند حاج عقلها في عهد مرجان الظافري وعن عهد عامر بن عبد الوهاب، الذي أسند عنه العلم وأجزاه العطايا، ثم انشغل في أواخر عهده في عدن بالتدريس والإفتاء والتأليف، وارتحل إلى زبيد وصاحب حزة الباشري على ابنه وأولادها (٦)، وأخذ الحديث والتفسير والنحو عن العلامة محمد بن أبي بكر الصايغ (٧) وتسحمر إلى المحجر، وجمع على الحافظ السخاوي، وارتحل في الفقه والأصول (٨).

ويبدو من الخطر - فيما نحسب - أن يقف هذا الرجل الطموح على حال واحدة، فلعل اضطراب الأوضاع في عدن في عهد مرجان، وعامر، قد دفعه إلى الرحيل إلى الهند، ثم أن له أسماء عليه أو عاصفة لم تقف عليها، بعضه يؤثر الرحيل إلى الهند على البقاء في اليمن، فرحل إلى الهند، وأقبل بحالات بوله الذكي وأعماقها.

ويطالعنا المؤرخ باقشير المؤرخ ١٠٠١هـ - ١٥٩٢م رواية تدل على أنه كان على علم بالسحر وفنونه إذا أمكن العبور: ويعبر ذلك من كرامته فقد حضر بعض وزراء الهند، وكان في ذلك المجلس رجل من السحرة فسأله كذلك إذ ارتفع ذلك الساحر وقعد في الهواء فقال: فوقع عندي من ذلك الساحر، وسمعت بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم أومأت إلى بعض من حضرني، فما زالت تضربه إلى أن رجع إلى مكانه (٩).

ومهما يكن من شيء، فإن هذه الظاهرة، هي جزء لا يتجزأ من العلوم المستنبطة التي تعلمها، والتي تقع في نطاق التداوي والطب القديم، مع ما في الرواية من صحة واحتمال.

نتاجاته العلمية

وعلى العموم، فقد أجمع المؤرخون والباحثون على أنه كان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين، المشتغل بسائر العلوم، والمتفنن في المعقول منها والمفهوم، والمتبحر في المنثور والمنظوم، وصنف في جميع العلوم كالحديث، والتصوف، والنحو والصرف، والحساب، والطب، والفلك، والأدب، وبلغ عدد مصنفاته ثلاثين مصنفاً طبع بعضها دون أن تشير إلى التحقيق على الأرجح (١٠).

ومن أبرز نتاجاته العلمية: أرجوزة في علم الحساب وشرحها والكلام في أصول علم الطب، ورسالة في علم الفلك، والبهجة في تقويم البهجة، وأرجوزة في الطب وشرحها، وهي التي نحن بصدد دراستها وعرضها (١١).

نظمه ونثره

للعلامة بحرق نفحات شعرية تسرب إلى الأعماق منها إلى الصحة والاعتدال، أورد المؤرخ باقشير في ترجمته له، إذ طالعنا بنماذج تنم عن اعتقاد بقدراته الشعرية، حيث يضع نفسه في مصاف الشعراء المتكلمين، وقد تناول معظم الأنواع الشعرية مدحاً وفخراً وغزلاً ووصفاً، ولا شك أننا لسنا في حاجة إلى أن نعرض لهذه الأنواع، بيد أن من الأهمية بمكان عرض بعض الأمثلة الدالة على جزالة شعره، وحسن سبكه وهو القائل:

نسماً بأبيات البديع وما حشوى ... من صنعتيه موشحاً ومسلسلا
لو كنت مقتدراً بنظم قصيدة ... لبنيت في هام المجرة منزلا
من قلي ثانية بسروق مباسماً ... وتحيه محيان الفصاحة بائلا
وترى لبيد بقا بليداً قلبه ... حصراً ويطلب الفروق أنملا
وعلى جزير نجر مطرف نبضنا ... ومشلشلاً تبديه نسج مقلسلا

ولئن تسما ابن الحسين فإنني ... سأكون في تلك الضيافة مرسلا
أبدي العجاب إذا برزت مظاهراً ... أو ماضياً للقوم أو متنزلا
لكنني رجل أصون بضاعتي ... عن يساوم بضعها متبذلا(١٢)

ومدح السلطان عامر بن عبد الوهاب فقال:

أبى الله إلا أن تكون المفاخرا ... سماك من بين البرية عامرا
عمرت رسوم الدين بعد دروسها ... فأحييت آثار الإله الدوائرا
فأنت صلاح الدين لا شك فسده ... تواكده تبدو عليك ظواهرا(١٣)

ومن بديع شعره منظومته في أصول علم الطب، التي أتاح إلى الغرض من نظمها، وهو الإشراف على أصول الفن ليخرج الإنسان من حيز الخاملين (١٤) ومن جميع الأصول حُرم الوصول على حد تعبيره(١٥).

أما النثر، فقد مهر فيه على حد قول الفوج الجنزوري (١٦)، والمستعمل في الديوان الأموي الكتوي، ومع أننا لم نقف على نثر الديوان ورسائله الديوانية التي حرّرها وحبّرها إلى الملوك والسادة، فالشيء الذي لا مراء فيه أنها جديرة بأقصى الاهتمام لرصانتها ومتانتها كما توحي بذلك أساليب في الرسالة التي بين أيدينا، فيها قدر من الجودة والبراعة اللغوية وبعد الرؤية وإحالة النظر... وإنما عقدت مقارنة بين نثره، ونثر بعض الكتاب والمؤرخين في القرن العاشر الهجري في حضرموت على سبيل المثال لا الحصر، ستجد نسيجاً أدبياً متيناً لا تشوبه شائبة من اللهجات العامية، التي كثيراً ما يستخدمها بعض كتاب ومؤرخي القرن العاشر الهجري، هذا إلى جانب جودة عرضه للمادة العلمية الطبية في الرسالة، ولا غلو ولا تعسف في ذلك، فالإفادة شيء من حيث كونها قد استعملت في ذكر طرائق استخدمها اليمانيون الحضارمة في التداوي والتطبب بالأعشاب، والفواكه والخضار، والأطعمة كافة.

وفاته

واختلفت الروايات التي ساقها باقلبه والجنزوري (١٧) أنه توفي مسموماً في كمامة من أرض الهند، في ليلة العشرين من شعبان عام ثلاثين وستمائة هجرية، ويعزو باقلبه ذلك، إلى أن حساداً من الوزراء الهنود، الذين أفاح حسدهم حظوته لدى السلطان المظفر، قد دبروا قتله وسموه، فإذا صحت هذه الرواية فيكون قد أكمل واحداً وستين عاماً، في حين أن الفرد ليس عنده رواية أخرى، تفيد أنه توفي في عدن في عام ستة وخمسين وستمائة (١٨) عن عمر ناهز السابعة والتسعين، ولا مشاحة في أن المدة الكثير سيود في هذه الرواية، وهذا ما جعل الفوج يستفزر بكتمي سبب تاريخ موته، ولكنه أشار إلى أنه توفي حتفه مسموماً في الهند للسبب نفسه(١٩).

وكيفما كان الحال، فيجدر ترجيح صحة الروايتين اللتين ساقهما باقلبه والجنزوري، فإن جهد لقي كثيراً من رواياته وحوادثه المتعلقة بمجريات الأحداث في القرن العاشر الهجري من الفوج باقلبه، ففي روايتهما قدر من الغلو، وحط من الصحة، وهذا ما نبين إلى الأهداف، ويؤيد كل ذي علم عليم.

"رسالة في الطب"

طبيعة المخطوطة

لا تتجاوز هذه أوراق هذه المخطوطة "الرسالة" الستة عشر ورقة، ومنها التاسع تبدو من صالح بن عوفان باقلبه رسالة عظيمة في الطب للإمام العالم والعلامة الولي الشيخ عمر علي على حد تعبيره(٢٠) وهي شرح لأرجوزة في الطب، لم نقف على أصولها، فلقد عرف تشرع في نظمها كما أشار التاسع في أواخرها، يوم الجمعة المبارك، التاسع والعشرين من شهر الله عاشوراء، أول عام عشر بعد تسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام(٢١).

وفرغ التاسع من نوعان من شروحها صحوة يوم الجمعة سابع شهر رجب عام ثلاث وثمانين وألف، أو أربع وثمانين وألف، وكتب بخط سحري، وعليها تعليقات في هوامشها لا تمت صلة إلى المادة العلمية أو تضيف شيئاً جديداً إلى متنها، وقد أصاب الرسالة البلى والاهتراء، وكتب المنظوم فيها بالحمرة(٢٢).

أهمية الطب في حياة الناس

قال ابن أبي أصيبعة: إن صناعة الطب أمر ضروري للناس موقوفاً بهم حسبت وعدوا ومن يوجدوا إلا الفاقد أنفس صدعهم لسبب المواضيع وكثرة التعدي وقوة السير، فتكون الحاجة إليها أمس عند قوم، دون قوم(٢٣) وأشار إلى أصول وجذور هذا العلم، والمخاطر التي دعت الناس إليه، وأول من فطن إلى أهميته، وبسط البحث ومد أطرافه فيه، فإذا أراد الناس أن يستقصي أمره، كان حليفاً به أن يبحث عن هذه الأصول والجذور، فبالملاحظ أن التجارب الأولية في تناول الأعشاب والأطعمة ومدى فائدتها على تقويم الصحة، كانت هي المنفذ الأول في هذا السبيل.

وفي إشارته للبحث في أصول وجذور هذا العلم، وكيفية استخراجه، تفيد أن المستخرج للطب هم السحرة من أهل اليمن(٢٤) مستفيضاً في ذكر آراء كثيرة أخرى في هذا الصدد ولا حاجة لأن نعرض لها.

وأياً ما كان، فقد وقف العلامة عمر علي عند هذه الفكرة، فكرة تقويم الصحة عند العامة أو المرضى، ويؤيدها رسالته مشيراً إلى أن صناعة الطب وضعت للناس لتحفظهم الصحة عند المرض، ولحفظ الصحة عليهم(٢٥) فهي إذن فطرية نشأت في نفوسهم، وترعرعت في سبيلهم وأخذت في الاستنار من طريق التجارب المتعددة والمواقع اللاحقة لتقويم الصحة وتفادي الضرر الذي يلحق بالبدن والنفس.

ويغلب على الظن أن العلامة عمر علي قد نظم - بالرغم من أنه - المنظومة في أصول علم الطب، أو شرحها في العام العاشر بعد التسعمائة من الهجرة، بيد أننا لم نقف على أصول المنظومة التي وردت مكتوبة بالحمرة في الرسالة نفسها.

وكيفما كان الأمر، فقد أرجع علل الإنسان وأدوائه إلى الأربعة العناصر من ريح وبلغم، وتراب، وماء، وإلى الأربع الطبائع والفصول، مؤكداً أن جمهور العلماء يرون ضرورة التوفيق بين هذه وتلك، وعدم الخلط بينهما، فبين أحدث أثر، طبيعة هذا الفصل أو العنصر، وما فيه من منافع ومضار لصحة البدن ومرضه، انتفاع الاستفادة من منافعه وتجنب مضاره، ولذا فإن عمر علي - على سبيل التمثيل لا الحصر - عدم تناول الماء وفواكه فصل ما، نضجت في فصل آخر، وحصدت في غير وقتها، فالأربعة الأرجح على حد قوله هي مدد حسم الإنسان وبها قوامه، ومنها صلاحه، كما أن قوام العالم بالأربعة الفصول التي هي الصيف والخريف والشتاء والربيع(٢٦).

وقسم علم الطب إلى قسمين:-

١ - حفظ الصحة الموجودة بالتدبير.

٢ - جلب الصحة المفقودة بالعلاج.

كما قسم رسالته إلى ثلاثة أبواب:-

١ - باب في تدبير الصحة.

٢ - باب في طبائع بعض الأغذية والأدوية.

٣ - باب في العلل المختلفة وأسبابها وأعراضها وعلاماتها وعلاجها.

الباب الأول: تدبير الصحة

يعني العلامة عمر علي بالأغذية بأن الاقتصاد في كل مباحي الغذاء، تسهيل من جميع الغذية المستعملة، فهو يعني على الوسطية، ويورد الأدلة الدالة عليها فيما يتعلق بالطعام، والحركة

←

والبرد، والأكل، والشراب، والقواء وغيرها. ففي الوطء (الجماع) يقول في منظومته الطبية:

فالسوط، غير صالح إلا إذا ... تهيج شهوة فأشرع الأذا(٢٧).
وفسير ذا مؤلمة للمداء ... لاسيما والبيض كالسوداء
ولتكن الأنثى كأرض والذكر ... سماؤها وما سواه فاعتبر

فالجماع لا يصلح إلا عند هيجان الشهوة في حد قوله، لأن "كل إناء بما فيه يرشح" إذا حار التنور، فالهيجان تشكل من أشكال الاستعداد من قبل استعداد، ورغبة، وشهوة الإنسان في تناول طعام، فإن لم تتوفر هذه الشهوة كان وبالاً على الإنسان، ولهذا فإن يرى: إن إيلاج المرء لزوجه يجب أن ينطلق من هذا المنطق وما عداه يسبب على العقل والأمراض وخاصة إذا جمع المرء بين يومه وليلته مرتين أو ثلاث (٢٨) وكان من ذوي المزاج اليابس كالسوداء والصفراء قال الشاعر:

وأحفظ منيك ما استطعت فإنه ... ماء الحياة يراق في الأرحام

فالمني من خالص الغذاء الذي هو مادة الروح (٢٩) والإفراط والتفريط فيه يؤدي إلى الشيب والهرم. وأفضل كميات الجماع أن تكون المرأة المرحل إرخاء ويكون خاصاً منسوباً إلى ضرورة الملاءمة والملاطفة والدعاء، ودعا إلى تأريخ الرياضة كل يوم وقست حتى العدة من الطعام (٣٠) وجاء فقرها بقدر ما تحمر البشرة ويبدو لون العرق.

أما النوم: فهو رجوع الحواس من الحركة وسكون النفس الحساسة وانتشارها مع الحرارة الغريزية إلى باطن الجوف بحرارات معتدلة تصعد من الجوف إلى الدماغ، وقد أوجز العلامة الغزالي طبيعة النوم وفوائده ومضاره في بيتين:

والنوم فيه راحة وهضم ... لكن مع الإفراط فهو هدم
فلا يجاوز فوق ثلثي ليلة ... وفي النهار ساعة القيلولة

ثم دعا الإنسان، قبل أن يأوي فراشه أن يتحلل من حلوه وتسخونه، وأن يكون خاصر الساعل والطاهر (٣١).

وفي إشارته إلى الاختلاف، أورد قول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: ((البطنة أصل كل داء، والحمية أصل الدواء)) ودعا إلى ضرورة تناول وجبة واحدة حين قال:

وأكلة واحدة أولى وة ... يأتي بما إعتيد دون الأبطة
واحذر ولا تدخل على الطعام ... طعاماً إلا بعد الانهضام(٣٢)
والجمع بين طرفين كالتين ... والسمك احذر فهو داء الفيحان

وحذر من الجمع بين بعض الأطعمة الباردة كالسمك واللبن، أو الحارة جداً كالبصل والثوم: فهي حارة بالطبيعة على حد زعمه (٣٣) وحث الإنسان على استنشاق الهواء النقي، وهو ما كان ليناً شرقياً (ريح الصبا) والثاني هو الإمكان من سماع الرياح العظيمة: والدخان، والروائح النتنة فإنها تضر بالروح، ولم يغفل الإشارة إلى الغضب والهم: ومضارها على الصحة فقال فيها: ((والهم والغضب فاجتنبه كي تكفي العطب)) (٣٤).

الباب الثاني: في الأغذية والأدوية

بسط القول في هذا الباب في فوائد الأطعمة والأغذية بحسب أنواعها، واستخلاص الأدوية منها، إما لقلتها بعضها بالبعض الآخر، بمقادير محددة، أو إضافتها إلى مواد نباتية أخرى، وقد أجمع جمهور العلماء والأطباء خاصة على الاستفادة القصوى من النباتات والأعشاب واستخدامها للتحقيق وفق معايير ومقاييس معينة، لأن الزيادة في الكميات والإفراط في الاستخدام، يعطي نتائج عكسية وخيمة، ونبه إلى ضرورة الاعتدال في الغذاء موافقاً المزاج، وفي الفصول الحادة لخروج الثمرة، وهذا ما دأب إليه كبار العلماء الأطباء كابن سينا والكندي وغيرهما.

ومن الأطعمة التي تزيد في جوهر الدماغ والبصر: زبد البقر، والعسل، إذا جمع مع السكر، مستشهداً بقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث قال: ((... إن تداوي العرب بشيء كالسمن، ومن زاد من أكله، نزع منه وجع الظهر وصداع الرأس)). وأضاف أن الألبان كلها تزيد في الدماغ، وتنفع الوسواس، والسباد (٣٥) وصفرة البيض مطبوخاً بالسمن والسكر، تزيد في المني وجوهر الدماغ والبصر.

ويرى أن الحلوى بأنواعها كلها حارة ورطبة، تفتح السدد وتلين الطبيعة، وإذا اتخذت من العسل، زادت في العقل، وجوهر الدماغ، والبصر والباه.

ولاشك أن هذه الأطعمة غنية بالدهون، أو ما يسمى بالكوليسترول، ولكنها غنية من الدهون غير المشبعة، فبعض الدهون والسمون إذا انتشلت خالصة من الأسماك النقية، كانت غنية على النواع الكوليسترول من الشرايين ... ولهذا فإنه يرى أن الحلوى المتخذة من العسل، لين الطبيعة، وتقوي المفاصل والأعضاء فهي – على الأرجح – تنزع الدهون الضارة من الجسم أو تخفض منها، أما العسل المزوج الزغوة، سيد الأدوية، فهو إلى جانب خواصه وفوائده الكثيرة، يقطع العقل السوداء، ويبقي الفروج الفاسدة، ويحوض في أعمال العروق، ويغسلها من العقل(٣٦).

وفي ملاحظاته عن الطبيعة أضاف خاصية لم تشر إليها الكثير من المصادر والمراجع الطبية ومنها، فقرقا على إطلاق عصر البول، وتكسيت الحصى وذلك إذا ضحت بالسمن(٣٧).

ومن الأطعمة الأخرى التي تزيد في القوة والشعر، وتورث الحفظ: الإكثار من لحم الضأن، ولحم الفراريج(٣٨).

والكرات إذا أكل ثلاثة أيام قطع الوساوس، والإكثار منه يطيل العمر، ويعز الكهل والأسارى(٣٩).

أما الدجر الأسود، إذا طبخ باللبن والسكر لين الصدر والعروق والمفاصل والأعضاء، ونفع من السعال(٤٠).

وعدد فوائد العسل، والتوت، والحبة السوداء، والزنجبيل والبر، والفل، وطرائق العلاج المستخدمة، فالعسل يقطع السمن، ويدفع ضرر الباه القوية ويهيج النساء، ويزيد في المني، والإكثار منه يورث النسيان، ويفسد العقل، ويطيل العمر ... والتوت يحرق الشحم ويتنقي من السموم، ويدفع من تغير الباه، وإذا أكل مع العسل، قطع السمن، وقوى المعدة، وقتل الدود وأذهب الوساوس، وطيب النكهة، والإكثار منه يثير الصفراء والفكة (٤١) والحبة السوداء تعمل فعله في قطع السمن، وإذا أكلت مع العسل سكنت أوجاع الظهر والمفاصل، وليست الوسوسات الرمادية.

والزنجبيل يلين الصدر ويقي قصة الرئة، ويحسن الصوت، ويزيد في الباه والمني، ويهضم الطعام.

والبر، الذي يستخدم بكثرة في حضرموت، إلى جانب الصدر الدوعي والسلطري، إذا شرب منه مقدار حبة البقلة (الفول) نفع من ضيق النفس، ووجع الجنب والصدر، وطيب النكهة، ويصفي الصوت، وقتل الدود في المعي، والفرض يشحم القلب، والفل إذا شربت وأكل مع الطعام قطع العقل الدموية، وكان أمناً من كل فتنة، ونفع من تولد الوسواس، أما إذا خلط بالسمن الخامض المزوج أمسك إطلاق البطن.

ولعلاج الحمى المتقدمة، ينصح بتوقي الزبيب بشرب ماء التوتيا (مرق الدجر الأبيض مزوجاً بالتوت)، أو يتناول الدجر هندي (الخس) المطبوخ من الفل مع السكر (٤٢).

أما السكنجة التي يرى أن سببها الحفظ السوء وتوي الفقل المستحكم، وعلاجه أن يدهن البدن بقطعة من الفستق والتوت، والزيت، والسبط الجبلي، وأن يحرك به حركاً جيداً، فإن تحرك الزبيب، والأنجير تحت الظهر والرأس، ليخرج حبابه من جوفه، فإن تحرك فيجعل بقاء الساعي، وإذا أطال الصبر في غذائه على الأطعمة الحارة الرطبة، وفراريج الجبل، وقسا التوم، والخضر في

الكلام، إلى خلط سودوري، وعلاجه كل الرزمات، وسيما الحلوى المتخذة من صفرة البيض والسمسم والسكر التي توضع على طريقة، وشرائه تريكاً جيداً، فإنها ترطب الدماغ، وتزيد في جوهر العقل والبصر (٤٣)، ويتم معالجة السعال اليابس، بتناول عرق القوبا (الدحر الأبيض) مع السكر الأحمر، أما مريض الجذام فيصحه عرق بشرب نقاعة الخشاف على الريق(٤٤)

وأوجز الباب الأخير من رسالته في نقطتين:

١ - العلل الدموية:

حيث عزا هيجان الدم، وظهور العلل الدموية إلى كثرة تناول الأغذية الحارة، والطبائع الدسمة، والحلوى، والتمر والعسل، وبدنا - والحال هذه - إلى تعديل المزاج بشرب الحلق، وأكل الخوامير كالتين الخامير مثلاً.

٢ - العلل البلغمية:

وتبيح العلل البلغمية بسبب كثرة أكل الأغذية البلغمية، وهي البارة الرطبة كالتين الطازج، والسمك الطري، والفواكه.

والنيحا: تبخر الطبيعة بحار رطب معتدل يصعد إلى القلب، أو ينعكس إلى سائر البدن، فيحدث أرقاء في المفاصل، وثقل في الأعضاء، وحينئذ توجب المسارعة إلى تعديل المزاج بالأغذية الحارة اليابسة كالعسل والزنجبيل والفلفل.

ومن الأمراض البلغمية (الفالج) وسببه كما يرى، علة الرطوبة والبرودة وعلاجه خلطة من الفلفل الأسود الطحن في زيت أو سليط ويدهن به المفلوج، ويهزه هزاً شديداً بكراً وعشية، ومن المستحسن بعد ذلك، أن يجتهد في إطعامه على الأغذية الحارة، كالمرزنجوش، والإكثار من الخليب المخلوط بالعسل على الريق، وتجنب تناول الأغذية الباردة.

مصادر رسالته

يبدو جلياً أنه استند في كتابة رسالته الطبية إلى جملة من المصادر والمراجع الطبية لعل أبرزها:

١ - الخبرات في حواضر الأدوية والأغذية لابن البيطار.

٢ - مقولة الأبدان في العلل وعلاماتها وأسبابها وعلاجها لابن جزلة.

إلى جانب الاستخراجات الدوائية المستقاة من الطب الشعبي اليمني في حضرموت، والعلاجات التي دأب على استخدامها عامة الناس، من مستحضرات الأعشاب، ومن تناول الأطعمة والأغذية في الفصول والأوقات المحددة لشروطها ومضارها.

وجهة نظر بحرق في الطب الماهر

تتمثل مهارة الطبيب في كونه ينظر في العلة، وحال المريض، ويصف له العلاج ويساعده فيما أمره به من الحمية والغذاء، ولا يشترط أن يرى العليل، أو يوجد في حضره، وهذه لا شك من أمارات الطب الخارق للماهر، صاحب الرسالة المتفانية على عالمه.

المراجع والحواشي

(١) باقلة، أحمد بن عمر، ت: [illegible] هـ/١٥٥٥م "تاريخ حضرموت السياسي"، دار الشعب والسنة والتراث، والأزهار والمناظر المعروف بـ: تاريخ باقلة المشهور، دار تراسة وتحقيق: أحمد عبد الله زبيدة، [illegible] هـ - [illegible]، وقد طبع من ص ١٣٩ والحبشي، عبد القادر بن شيخ، ت: [illegible]، [illegible] م، "الشرع الشافي من الفتاوى" دار الكتب العلمية، لبنان، [illegible] م، وبعد تراجم عامة.

(٢) ميكرو فيلم، المكتبة الوطنية، عدن، نسخة المتحف البريطاني.

(٣) ميكرو فيلم، المكتبة الوطنية، عدن، نسخة [illegible]، و باوزير، محمد عوض، "صفحات من التاريخ الحضرمي" مكتبة الجالية، عدن، [illegible]، ص ١٤٢.

(٤) باقلة، المصدر السابق، ص ١٣٩ والحبشي، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٥) باوزير، المرجع السابق، ص ١٤٢، وباصالح، أحمد بن علي، "جواهر تاريخ الأشراف"، تقديم وتحقيق: حامد حسن، وتصحيح: محمد عبد الله الجوني، مكتبة البيحة الحديثة، مطبعة البيحة الحديثة، مصر، [illegible] هـ/[illegible]، (٦) ابن عبيد، سالم بن أحمد بن سالم، ت: [illegible] هـ - [illegible] م، "تحفة الطلبة لتاريخ عدن وحضرموت"

تاريخ حضرموت"، تح: عبد الله أحمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، [illegible] م، ص [illegible].

(٧) محمد الوجاه بن محمد الزمخي، ت: بعد عام [illegible] هـ - [illegible] م، "طبقات صلحاء اليمن"، تح: عبد الله أحمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، لبنان، [illegible] م، ص [illegible].

(٨) الطاهر الشيخ، عبد الله أحمد أ "حياة الأدب اليمني في العصر بين رسولين"، ط ٢، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، صنعاء، [illegible] م، ص [illegible].

(٩) السقاف، أحمد بن عبد الرحمن، "الجنى والنابع الأحمر الورد الينبوع"، ط ١، تح: دار الجيل، لبنان، [illegible] م، ص [illegible] والحداد، والمصدر السابق، ص [illegible].

(١٠) باوزير، المرجع السابق، ص ١٩.

(١١) السقاف، المصدر السابق، ص [illegible].

(١٢) باقلة، المصدر السابق، ص ١٣٨.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨، والحبشي، المصدر السابق، ص ١٢٣، وباوزير، المرجع السابق ص ١١٤، علماً بأن باقلة صنفه وأكثر المنايا من ١٥٦ أما السقاف فلم يشر إلى صنفه ثانية في ذلك الرسالة والنص، ص [illegible].

(١٤) أنظر باوزير، المرجع السابق، ص ١٤٢.

(١٥) المرجع نفسه، ص ١٤٥، وأنظر تاج أبي في السقاف، المصدر السابق، ص [illegible].

(١٦) باقلة، المصدر السابق، ص ١٣٨، والحبشي، المصدر السابق، ص ١٢٦.

(١٧) ورقة ١٢٠.

(١٨) رسالة في الطب (١٠ ورقة)، (الرقم ٢) عربية (٢٤) التاريخ: محمد بن صالح بن بوطالب، مكتبة الأحقاف، تريم، ورقة ١٦ وتحدث رسالة مخطوطة أخرى بعنوان: الكافية في أصول علم الطب ٢٤ ورقة، الرقم (٥) عربية (٢٢) التاريخ: أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله، رقم ٤٠٤، مكتبة الأحقاف، تريم.

(١٩) الحبشي، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٢٠) باقلة، المصدر السابق، ص ١٣٩، والحبشي، المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٢١) ابن عبد، المصدر السابق، ١/[illegible].

(٢٢) باوزير، المرجع السابق، ص ١٤٥، والزركلي، خير الدين، الأعلام، القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٥٩م، ٦/[illegible].

(٢٣) ورقة (١٤).

(٢٤) ورقة (١٥).

(٢٥) ورقة (١٦).

(٢٦) أنظر فهرست مكتبة الأحقاف، (السلسل) المركز اليمني للأبحاث الثقافية والأثر والتاريخ، سيئون، [illegible] م، ص ٩، ٩.

(٢٧) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، طبقات الأطباء، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، بيروت، [illegible] م، ٢/[illegible].

أنظر أيضاً: الشطري، محمد كرم إبراهيم، (دكتور)، إسهامات أهل اليمن في علم الطب، و الطب البحري، دراسة في التراث العلمي العربي، مجلة كلية التربية، العدد (٩)، الجامعة المستنصرية، العراق، ص ١٤٦.

(٢٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ١/[illegible].

(٢٩) المصدر نفسه، ١/[illegible] فأن تعرف ورقة (٢٠)؛ و: الشيء بالشيء والشيء، أصل علم أبي البشر (٢).

(٣٠) ورقة (٢).

(٣١) يشير الجبر مخطوطاً.

(٣٢) ورقة (٣).

(٣٣) ورقة (٣).

(٣٤) ورقة (٣).

(٣٥) ورقة (٣).

(٣٦) مخطوطة في الجبر.

(٣٧) ورقة (٤) أنظر أيضاً: ابن سينا، القانون في الطب، و ط، بيلاقا ١٥٩٩ م، تح وترتيب جولد هيو، مؤسسة الأعلمي، لبنان ١٩٨٦م، ص ٢٣٥.

(٣٨) ورقة (٣).

(٣٩) ورقة (٣).

(٤٠) ورقة (٣).

(٤١) ورقة (٣).

(٤٢) ابن سينا، القانون في الطب، ص ١٦٠.

(٤٣) أنظر أيضاً فهيول، كتاب في الطب بطريقة الجدول، و مخطوطة، مكتبة الأحقاف، تريم، ورقة ٢٦.

(٤٤) ورقة (٣) أنظر: ابن سينا، المصدر السابق، ص ١٢٤.

أنظر أيضاً فهيول، المصدر السابق، ورقة (٤٠).

(٤٥) ورقة (٤).

(٤٦) ورقة (٤).

(٤٧) ورقة (٤).

(٤٨) ورقة (٤).

(٤٩) ورقة (٤).

(٥٠) ورقة (٤).

(٥١) ورقة (٤).

(٥٢) ورقة (٤).

(٥٣) ورقة (٤).

(٥٤) ورقة (٤).

(٥٥) ورقة (٤).

(٥٦) ورقة (٤).

(٥٧) ورقة (٤).